التربية القيمية على استخدام تكنولوجيا الاعلام والاتصال

من منظور "البراديغم القيمي"

د. احمد عبدلي

أستاذ محاضر بجامعة الأميرعبدالقادر

أ.ة ساسي جليلة

طالبة دكتوراه

الملخص

يشكل " *الاستخدام الاجتماعي لتكنولوجيا الاتصال* " حقلا معرفيا مميزا قائما بذاته، ذي بعد نظري ومنهجي يهتم بالأساس بتوصيف طبيعة العلاقة التفاعلية بين "الإنسان" المستخدم والأداة الاتصالية الجديدة، وما ينبني عليها من قضايا وإشكاليات متنوعة تخص، الروابط الاجتماعية، الهوية، القيم بيئة الاستخدام ...

حيث تهتم الأبحاث المتعلقة بهذه الظاهرة عادة بتحليلها مفاهيميا بتحديد الخصائص والصفات والسمات العامة والخاصة لهذا المفهوم، ومحاولة استخلاص المعنى الاجتماعي والثقافي من المعطى التقني، وكذا وضع اطر عامة لاتجاهات البحث فيها، وأخير تحليل الإطار الكلي الذي تتم فيه العملية، بهدف الوصول إلى تبصرات بها في الحال والمآل.

يضفي "المنظور القيمي" نظرة أخلاقية على نظريات التأثير الإعلامي، فيحاول استدراك استبعاد متغير "القيم" من فروضها، المستمدة من السياق الثقافي والحضاري لهذه النظريات ابتداء، ذلك أن استبعاد هذا المتغير من عملية التحليل والتفسير أحال الكثير من الدراسات الإعلامية في البيئة العربية والاسلامية الى نسخ مشوهة عن الدراسات الغربية، وانتجت بدورها صورا مشوهة عن الواقع الميديائي ،إن هذا "البراديغم" لا يعادي هذه النظريات ولايرفضها وانما يحقنها بالمتغيرات التي تعبر عن تمايز ثقافي وحضاري وتمايز في التجربة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية.

تبحث هذه المقالة مسالة الاستخدام من وجهة نظر،"البراديغم القيمي «، أي البحث في الأبعاد الثقافية الحضارية القيمية للعملية بوصفها الإطار الملائم والأنسب لفهمها واستيعابها.

الكلمات المفتاحية: الاستخدام، التملك، التمثلات، الإدماج، الجو الثقافي، الجو الاستخدامي ، الإشراف القيمي ، التربية، الكفاءة القيمية، تحييد القيم ، تداخل القيم .

Résume

L'usage social du tic présent un champ d'étude unique a deux phase, théorique et empirique. La recherche sur ce phénomène porte généralement sur l'analyse conceptuelle en définissant les caractéristiques générales et particulières de ce concept et en essayant d'extraire le sens social et culturel des données techniques, ainsi que le développement de cadres généraux pour les tendances de la recherche.

le « paradigme du valeur » présent une autre regard éthique sur les théories de l'influence des médias, tente de remédier à l'exclusion des variables « valeurs » de l'hypothèse, dérivée du contexte culturel et civilisationnel de ces théories à partir, de sorte que l'exclusion de cette variable du processus d'analyse et l'interprétation fait référence un grand nombre d'études de médias dans l'environnement arabe et islamique des copies des études

occidentales déformées, à son tour, cette «paradigme» produit des images de la réalité médiatique déformée, n'est pas hostile à ces théories ne rejettent pas, mais reflètent la différenciation culturelle et civilisationnelle et la différenciation dans l'expérience sociale, économique, politique et culturelle.

مقدمـــــة

يشكل "استخدام" وسائط الاتصال الحديثة (الانترنت، الهاتف...) مبحثا أساسيا من مباحث المعرفة المرتبطة بهذه التكنولوجيات، يضم حزمة متداخلة من الإشكاليات المتعلقة بأبعاده الاجتماعية الثقافية الفلسفية، التقنية...، "تبني" و"تملك" و"تمثل" لهذه الوسائط، بهدف فهم الكيفيات والطرق التي يتفاعل من خلالها الأفراد والمجتمع والمؤسسات مع هذه التكنولوجيا، وتقع دراسة الاستخدام ضمن تقاطع لثلاثة اهتمامات بحثية: تحليل الاتصال الوسائطي (CMO)، التاريخ الاجتماعي لتكنولوجيا الاتصال، سوسيولوجيا أنماط الحياة[1].

دأبت دراسات الاستخدامات على طرح سؤال مركزي: ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام؟ وهو السؤال المركزي الذي ينطلق عادة منه التحليل الموسع المبني على "نشاط" وخبرة هذا الفرد، التي تمكنه من "انتقاء" المحتوى و"فهمه "فهو "ايجابي" "نشط"(يقبل أو يرفض في إطار تأثير مدركاته ما يتعرض له من أفكار وموضوعات)[2]و"يقظ"، والغريب أن الأبحاث في هذا الحقل تستنفر جهدها لاحقا لمطاردة هذا النشط اليقظ، لتبين الآثار المترتبة عن استخدامه لهذه الوسائط.

ويبدو أن هذه النظريات قد بالغت في تقدير "الكفاءة الذاتية" للجمهور في تعامله مع النصوص والمضامين الإعلامية المختلفة،وأحالت مسؤولية إدراك المعاني الظاهرة والكامنة وتفسيرها على كاهل الملتقي لا غير، ويمكن أن تكون هذه النظرية مفهومة إلى حد بعيد في الفكر الغربي إذ تنسجم مع ذهنيته الحداثية والمابعد حداثية المستندة إلى أرضية علمانية،المتشكلة في إطار نزعة "موت المؤلف"، المستمدة أصلا من فلسفة عصر النهضة حيث جعل إنسان الغرب نفسه المرجع والمصدر الوحيد له والمركز الوحيد للكون حواليه،أي جعل نفسه القسطاس والميزان الوحيد لحياته البائسة[3].

---

[1]- Serge Proulx, **Usages *des technologies d'information et de communication : reconsidérer le champ d'étude* ?** [on line] refe de 2009, disponible sur [on line .www.er.uqam.ca/nobel/grmnob/drupal5.1/static/textes/proulx_SFSIC2001.

[2]-محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط3، عالم الكتب، القاهرة:2010، ص251

[3]-كولن تورنر، ثورة الإيمان، **مجلة النور للدراسات الحضارية**العدد01 يناير، 2010، ص15

وللأسف فقد اقتفى الكثير من الباحثين العرب والمسلمين أثار هذه الفلسفات إلى غاية ‘‘جحر الضب" على حد وصف النبي صلى الله عليه وسلم، وانزلوها إلى ميدان التجربة الاجتماعية الخاصة ببيئاتهم بنفس الروح –الفلسفة–والافتراضات والمنهجيات، في محاولة لتفسير هذه الظواهر، فأغلبها حاله حال من يلبس نظرات سوداء داكنة ليبصر الطريق في رابعة النهار؟ ولذا غالبا ما تكون نتائج بعض هذه الدراسات *"مَنَاحَة"* علمية مدعمة بالإحصائيات والأرقام والجداول؛ عن سلوكه–الجمهور–الغارق في مشكلات الهوية، العزلة، الإدمان، الفردانية، الاغتراب، اللهوية، التفاهية، ناهيك عن الانحطاط الأخلاقي والشراهة الاستهلاكية للمنتجات الثقافية ذات النزعة الغرائزية، وغالبا ما تنتهي بتحسروتاسف واضح على هذا الوضع مع توصيات بترميم مناطق الإصابة لدى هذا "**اليقظ**[1]"؟ ويبدو أننا نصف الأعراض دون أن نضع اليد على الأمراض؟ إذ كيف يمكن تقبل وجود أمراض من هذا النوع في بيئة مسلمة؟ أو ليس الخلل في مستوى أخر لم يخضع للفحص والتشريح بالدقة المطلوبة؟

يعتري البيئة الجديدة للإعلام والاتصال اليوم الكثير من الإشكالات والانشغالات البحثية على الصعيد النظري الفلسفي والمنهجي الأداتي، في البيئة العربية الإسلامية، تقابلها تحديات ثقافية واجتماعية وقيمية تواجه الفرد والمجتمع،فجوهر المشكلة من منظورنا القيمي يعتبر: العلاقة بين وسائل الإعلام والمجتمع في المنطقة الإسلامية و العربية حضارية ثقافية بالدرجة الأولى،وتتفرع هذه المسالة إلى إشكالات فرعية تمس تلك العلاقة الحاسمة بين وسائل الإعلام والمجتمع خاصة ما تعلق بأبعاد القيمة أي الجوانب الاثني عشر : الإيمانية الاتصالية،الزمنية،المكانية اللسانية، النفسية، الاجتماعية، الاقتصادية، التربوية، السياسية، الجمالية، الإنسانية[2] .

المدخل الاشكالي في العلاقة بين المتلقي ووسائل الاعلام

يتعدى جوهر إشكاليات " نظرية الاستخدام" –من وجهة نظر البراديغم القيمي – المظهر التقني الوسيلي وما يلحق به من شروط، التحكم، والإدارة، والتسيير، وإنتاج المحتوى، واستهلاكه وتوزيعه، أو حتى في النظريات الغربية المفسرة،وإنما اقترابها أو ابتعادها عن "الجو القيمي"، الذي يؤطر عملية الاستخدام

[1]–تعتبر نظرية الاستخدامات والاشباعات أن متلقي وسائل الإعلام نشط ويقظ وله الدرة على انتقاء المحتوى وتمييزه ذاتيا

[2]–عزي عبد الرحمن **منهجية الحتمية القيمية في الإعلام** الدار المتوسطية للنشر، تونس:2013، ص10

بجميع أبعادها، فهو المعيار الفاصل والميزان الحضاري، ومن هذا المنظور يمكننا أن نعيد صياغة السؤال السابق:من **ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام؟** إلى: ماذا ***تفعل وسائل الإعلام بالجمهور–المسلم العربي –دون كفاءة قيمية؟*** وهو يحيلنا مباشرة وأليا الى قائمة طويلة من الآثار السلبية الناجمة عن الاستخدام غير المؤطر قيميا، ،وأجزم بأن تبني مثل هذه التساؤلات ومركزتها في تحليل الظواهر الإعلامية في البيئة العربية، سيسمح بإعادة فهمنا لأنفسنا وفق متغيراتنا الثقافية والحضارية بعيدا عن المنظورات الغربية والتغريبية، ويكون التساؤل الأنسب حينئذ هو: **ماذا تفعل الثقافة بوسائل الاتصال**[1]؟ أو بعبارة أدق سياقيا: ماذا **تفعل القيم بوسائل الإعلام؟** وطبعا الإجابة عنه متروكة للبحوث والدراسات الأصيلة التي تتبنى هذه الرؤية، ولذا يمكن أن نسيمه بالاتجاه النضالي إن لم يكن مرابطة معرفية.

تعد نظرية الحتمية القيمية في الإعلام[2]، من النظريات الرائدة في هذا الاتجاه، حيث تطرح رؤية فلسفية فكرية، وأرضية نظرية،وحزمة مفاهيمية، و قواعد منهجية، لدراسة الظواهر الإعلام–اتصالية تقوم على استحضار القيمي الثقافي الحضاري في الاتصالي الإعلامي، بما ينسجم مع طبيعة المبتنيات العقائدية والفكرية والسلوكية للفرد و المجتمع،إذ الحاصل أن الكثير من الدراسات في البيئة العربية جردت تلك الظواهر من هذا المتغير وطبقت مناهج ومداخل ذات نزعة غربية أدت إلى فقدان المعنى الاجتماعي والثقافي في حد ذاته، وأنتج شروخا عميقة في جدار المعرفة، أو على الأقل جعل رؤاها وتفسيراتها لهذه الظواهر قاصرة ومحدودة الأفق والفاعلية .

إن **نظرية الحتمية القيمية** في الإعلام تحاول وضع الظواهر الاجتماعية عامة والإعلامية خاصة في سياقات تحليلية كلية، فهي ليست نظرية حقلية جزئية بل تتعداها إلى إطار تفسيري شامل لبنيات العملية

---

[1]– عزي عبد الرحمن، دراسات **في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميز**، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، دمشق:2003، ص101

[2]– يعرف هذا المدخل باسم ***"نظرية الحتمية القيمية في الإعلام"*** وهي نظرية طرحها الأستاذ عزي عبد الرحمن واسهم في تطويرها الكثير من الباحثين لمزيد من التفاصيل تصفح الموقع الخاص بالنظرية:http://www.oocities.org/dr.azzi/ethicomp.pdf

[2]–كان للقائي الأستاذ عزي في ملتقى جامعة الاغواط الأثر البالغ في تصويب بعض الأفكار المتعلقة بفهم الظواهر الإعلامية في إطارها القيمي، كما دفعني إلى إعادة قراءة وفهم ما كتب عن الموضوع في سياقات جديدة لم أتبينها من قبل، وعلى كل الفضل لله ثم للأستاذ الذي علمنا الإنصات إلى الحقائق العلمية بقلب رجل صوفي ينفذ إلى أعماق المعرفة ويرتفع إلى مقامات الفهم والحكمة، وعقل باحث علمي منهجي منضبط صارم يترفع عن تمجيد التراث وتقديسه بل يعمل على وصله بالحداثة وروح المعرفة الإنسانية المعاصرة.

الإعلامية جميعها يتضمن أبعادا فكرية وفلسفية[1]، إضافة إلى كونها نظرية وقائية من خلال تفعيل منظومة القيم الإسلامية وجعلها المعيار والمحك الذي نزن به ومن خلاله تلك الظواهر.

ويعني منظور "*الكفاءة القيمية*" في استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال، استيعاب الفرد ثقافته ونظامه القيم وتكييف هذه الكفاءة مع الوضعيات أو المحيط الجديد[2]،ولا يتأتى هذا الاستيعاب والتكيف إلا من خلال "توجيه"[3] تربوي قيمي على وسائل الإعلام في عمومها وتكنولوجيات الإعلام خصوصا، تتضافر فيه جهود مؤسسات التنشئة الاجتماعية جميعا (الأسرة المسجد المدرسة ...) بهدف تكوين **قاعدة معرفية** متوازنة –**تمثلات***Représentation***واقعية** عن هذه التكنولوجيا–،**تملك***Appropriation***فعال** يحيلها إلى أدوات انجاز بدل تقنيات وأدوات مكدسة فاقدة للفعالية والفعلية في السياقات الإنتاجية المتنوعة،لتندمج هذه التقنيات **اندماجا***Intégration*متسقا مع المنظومة الحياتية للفرد والمجتمع دون أي تنافر أو توتر قيمي.

من الكفاءة القيمية إلى الترشيد

من البديهي أن لا تتأتى هذه الكفاءة إلا من خلال نشاط واعي هادف أي برنامج متكامل الرؤية وهو ما نطلق عليه،**التربية القيمية على تكنولوجيا الاتصال** فهي عملية وقائية استباقية للتأثيرات السالبة من خلال التوجيه القيمي لعملية الاستخدام و تأطيرها، وهو المسلك الذي يربط المنتجات التقنية بنظام توجيهي متكامل، وهو ما نسميه " ترشيد" الاستخدام، والترشيد من الرشد وهو نقيض الضلال والغي : **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ البقرة**..(256)، و يقال رجل راشد أي مميز بين الحق والباطل، ومن اسماء الله تعالى "الرشيد " أي الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم،أي هداهم ودلهم عليها وهو الذي تنساق تدبيراته إلى غاياتها على سبيل السداد من غير إشارة مشير ولا تسديد مسدد [4].

---

[1]–عزي عبد الرحمن، **دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميز**، مرجع سبق ذكره، ص8

[2]–عزي عبد الرحمن،**الكفاءة القيمية**، انظر الرابط:http://www.oocities.org/dr.azzi/ethicomp.pdf

[3]–التوجيه عند مالك بن نبي هو ما يمكن من تجنب الإسراف في الجهد والوقت. انظر **مشكلة الثقافة**

[4]ابن منظور، لسان العرب، ج3، دار إحياء التراث العربي، ،، لبنان: ص398

وفي تقديرنا فان الترشيد يؤدي إلى الرشد؛ أي النضج والاكتمال فحاصل الجهد الهادف إلى القيمية من خلال القيمة إنما هو كما يقول الشيخ الشعراوي يرحمه الله: حسن التصرف في الأشياء وسداد المسلك في علة ما أنت بصدده[1]، فمبتغى هذا المسلك يرتبط بمدى الانسجام بين المنظومة الفكرية والمنظومة السلوكية بحيث تكون انعكاسا حقيقيا لها، وتكون القيمة قاعدته التي ترتفع بالفرد إلى المنزلة المعنوية[2].

تهدف "التربية القيمية على وسائل الإعلام" إلى مرافقة وتوجيه وترشيد عملية استخدام الوسائط التكنولوجية وذلك من خلال الحرص على بناء المنظومات الآتية:

أولا– المنظومة الوقائية: وتخص "الجو الاستخدامي العام[3] " أي الإطار الأوَلى الذي يشرف على وضع قواعد توجيهية للاستخدام مستندة إلى منظومة القيم الأخلاقية أو ما يعرف في الأدبيات البحثية ب"أخلاقياتالاستخدام "*Use Ethics*، *Ethics Media*وتكون الأسرة والمدرسة والمسجد مراكز الثقل فيه باعتبارها المحضن الأساسي للتوجيه "**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء**[4]،ويساعد هذا الجو التوجيهي أو ما يسميه الأستاذ مالك بن نبي "*التوجيه الأخلاقي*" على تعزيز "قوة التماسك الضرورية للأفراد "[5] وهو ما يترجمه الأستاذ عزي "*بالإشراف القيمي*" الذي ينبثق تلقائيا من البنية القيمية[6]وتكون وظيفته :

أ–تنمية روح المسؤولية الذاتية *:* واستشعار المراقبة الربانية (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)ق18،والمحاسبة الذاتية الدائمة، أثناء الاستخدام كحل جذري لمواجهة المحتويات ذات الطبيعة الغرائزية أو التي تتعارض مع النسق القيمي، إنتاجا،واستهلاكا،وتوزيعا، وكذا تعزيز قيمة التوبة، باعتبارها

---

[1]– محمد متولي الشعراوي، خواطر إيمانية في تفسير سورة الكهف،

[2]–عزي عبد الرحمن **دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميز**، مرجع سبق ذكره، ص106

[3]–فكرة "الجو الاستخدامي" مستوحاة من فكرة "الجو الثقافي" عند مالك بن نبي والذي يمتص الفرد تلقائيا عناصره، من ألوان وأصوات وحركات وروائح وأفكار يتلقاها لا بوصفها معاني ومفاهيم مجردة ولكن بوصفها صورا مألوفة يستأنسها منذ مهده.

[3]–تنطوي كلمة أخلاقيات في اللغة العربية على ثلاثة اشتقاقات متماسكة أ–الخالق سبحانه وتعالى في ذاته وصفاته الأسماء الحسنى، ب–الخلق أي المخلوقات، ج الخلق أي القيم التي تحكم الخلق بوصفها تجليات أسماء الله الحسنى، انظر: عزي عبد الرحمن

[4]–رواه ابو هريرة رضى الله عنه.

[5]–مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة، ط1**، دار الوعي، الجزائر:2013، ص79

[6]– عزي عبد الرحمن، **الكفاءة القيمية**، مرجع سبق ذكره

مصفاة سلوكية تتيح للفرد العودة مرة أخرى إلى المجال القيمي، خصوصا وأن تجربة الاستخدام تجربة فردية تنتفي تغيب معها الرقابة الاجتماعية، وهو ما يجعله يواجه هذه الوسائط بمحتوياتها منفردا،وفي غياب الموجهات الايجابية لا يعدو أن يكون مثل "الهائم"Nomade على وجهه في صحراء شاسعة أو مثل الذبابة في الشبكة (مع فارق التشبيه)على حد قول بول كيندي.

ولا شك أن عناصر الجذب في هذه التكنولوجيا متنوعة ومغرية، خصوصا ما تعلق بالمحتويات غير القيمية أو المتنافية معها أصلا (الجنسية،الجريمة، المخدرات،الموسيقى الفاحشة،المثلية، التطرف ، الإرهاب، الأفكار المنحرفة ...)،أو المجموعات الشذوذ والفسق والمجون...، أو تطبيقات وبرامج والعاب من هذا القبيل ويكون من أهداف التربية القيمية تنمية قيم "الصبر والمجاهدة والمكابدة " ولها معنى عميق في هذا الاتجاه إذ هي صبر على المشتهيات ومكابدة لرغبات النفس ونزواتها ومجاهدة لها في سبيل الارتقاء إلى مقام العمل الصالح (**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** .)آل عمران 124 .وكما يقول الشيخ محمد الغزالي يرحمه الله : إن الخُلق لا يتكون في النفس فجأة،ولا يولد قويا ناضجا،بل يتكون على مكث وينضح على مراحل[1] .

ب–ضبط التوازن بين الأزمنة:

وهي مستويات حياتية منها الزمن الاجتماعي الثقافي التواصلي،زمن اللعب، زمن الميديا،الزمن القيمي التعبدي ، مع التركيز على ضبط مقدار محدد لزمن الميديا، أي إعادة الانسجام فيما بينها،بعد أن استغرق الزمن الإعلامي الفرد المعاصر وانهماكه –الفرد– مدة طويلة في التعامل مع هذه الوسائل الزمنية فانه أصبح موجه للزمن الاجتماعي، يقول الأستاذ عزي : إن غلبة الزمن الإعلامي وسيادته يعودان إلى سيطرته البنيوية على زمن الأفراد والجماعات ...فقد تقلص زمن العلاقات الاجتماعية تقنيا وعمليا مع ظهور أية وسيلة إعلامية[2]،فالملاحظ أن زمن المديا يكاد يبتلع باقي الأزمنة ويشكل لوحده فضاء المعيشة والتبادل والتعلم والعمل والعواطف...،وغيرها من مناشط الحياة التي تدفع البعض

---

[1]–محمد الغزالي، **خلق المسلم**، مكتبة رحاب، الجزائر:1997، ص27

[2]–عزي عبد الرحمن، الزمن الإعلامي والزمن الاجتماعي: قراءة في تفكك بنية التحول الثقافي بالمنطقة العربية، **المستقبل العربي**،**العدد**2003/09 ص71

إلىالاستغراق في عملية الاستخدام بشكل مرضيكالإدمان عليها وما يصحبه من أمراض نفسية(العزلة،الانطوائية،الفردانية..) وأمراض حسية(القلق، ألامالظهر، العيون)[1].

ج–تعزيز القدرة على الاستخدام الانتقائي: أي القدرة على انتقاء مضامين وخدمات وتطبيقات متسقة من الإطار القمي للفرد الذي يكون بمثابة مصفاة الفرز والغربلة الدائمة الحضور في العملية، ويتبع ذلك أيضا انتقاء جماعات الانتماء (الشبكات الاجتماعية، المجموعات، الصداقات)، ذات الاهتمامات الايجابية والهادفة.

ثانيا –المنظومة المعرفية– بناء التمثلات : وتتمثل في التعريف كفاية بالتكنولوجيا محاسنها ومضارها، ايجابياتها وسلبياتها وأواجه الاستفادة منها، ذلك أن تصفية المنظومة المعرفية من التمثلات اللهوية والتفاهيةوالتسطيحية والمنطق الاشباعي التقنوي، أو كما يسميه عزي "الجو الدعائي الاستهلاكي التفاهي[2]، من شانه أن يحيلها إلى أدوات إبداعية متناغمة مع الإطار القيمي الحضاري،يقول مالك بن نبي رحمه الله:*الأفكار هي المنوال الذي تنسج عليه الأعمال وهي تتولد من الصور المحسة الموجودة في الإطار الاجتماعي فتنعكس في نفس من يعيش فيه وهنا تصبح صورا معنوية يصدر عنها تفكيره*[3]. ويسمى الأستاذ هذا المستوى ب "*التوجيه الجمالي* "

ثالثا–مدخل التملك بناء عالم الخبرة : يترتب على تحقيق الهدف السابق أي التمثلات الايجابية تملك ايجابي بدوره، إذ أن التحكم التقني الممتد في عمق المعرفة التقنية على صعيد الوسائل *Hard* والبرامج *Soft*، من شانه أن يعين على بناء منظومة انجاز متكاملة من المستوى البسيط الفردي إلى المستوى المعقد المجتمعي، وعالم الخبرة في هذا المجال له اثر جد عميق في نهضة المجتمع ذلك انه ينقله من

---

[1]– انظر بالتفصيل نتائج الدراسة الميدانية الواردة في مذكرة ماجستير للطالب احمد عبدلي، قسم الدعوة والإعلام والاتصال، جامعة الأمير عبد القادر،2003

[2]– عزي عبد الرحمن، **حفريات الفكر الإعلامي القيمي**، مرجع سبق ذكره، ص20

[3]–مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، مرجع سبق ذكره، ص82

حالة التكديس لهذه المنتجات إلى حالة من الفعالية الحضارية، أي تنمية" *المنطق العملي* " *واستخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة*[1] .على حد تعبير مالك بن نبي يرحمه الله.

رابعا–منظومة السلوك –الإدماج:

السلوك هو محصلة التفاعل بين "المكون المعرفي" (العقلي)"والمكون الوجداني" (القلبي)، أي هو الترجمة النهائية والعملية لمعتقدات وقيم الفرد،يعبر عنه في شكل ملفوظات لغوية،حركات جسمانية،إيحاءات، وغيرها من الأشكال التعبيرية، ونتيجة للتفاعل الداخلي العقلاني والوجداني يتحدد اتجاه الفرد بصورة نهائية، ومنه تتحدد خطواته السلوكية المباشرة،فمثلاً قد يتعرف الفرد على أفكار دينية أو سياسية وما شابه ذلك ويقارنها إلى معارفه أو خبرته السابقة ثم يقرر قبولها أو رفضها بعد أن يضفي عليها نوعا من المشاعر والأحاسيس،فإذا كان مقبولا فينعكس في شكل حماسة ومشاعر ملتهبة تصل حد التطرف،وإن كان رفضا فيعبر عنه بمشاعر مختلفة مثل،الاشمئزاز،الغضب،الرفض [2].

ولا شك أن السلوك الاستخدامي هو محصلة العوامل التكوينية المعرفية والوجدانية، والحاصل أن استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال في بعده السلوكي المباشر، يمكن أن يرتقي ويرتفع الى المنزلة المعنوية[3]وإلى حالة من الفاعلية الانجازية الهادفة، كلما كان وثيق الصلة بالقيم الأنفة الذكر ويكون التأثير ايجابيا حالئذن، وينسجم مع باقي مناشط الحياة الفردية والمجتمعية، كما أن الاستخدام المبتور الصلة بالقيمة يؤدي إلى تنافر وتوتر ثقافي وتأثير سلبي، ويحيلها إلى عمليات غير ذات جدوى أو معنى تستنزف المال والوقت

والواقع أن الموقف الاستخدامي الحالي –بما دلت عليه الكثير من الدراسات الميدانية – يمكن أن يعتريه واحد من الحالات الآتية:

---

[1]–المرجع السابق، ص84

[2]–ماهرمحمودعمر،**سيكولوجيةالعلاقاتالاجتماعية**، ط2، دارالمعرفةالجامعيةالإسكندرية: 1992، ص 184

[3]– عزي عبد الرحمن، الثقافة وحتمية الاتصال: نظرة قيمية، **المستقبل العربي**، العدد2003،295، ص19

أ–تمثلالقيم: حيث ينسجم استخدام الفرد في جميع أبعاده مع ما يحمله من قيم التي تكون ناظمة لهذا المنشط وحاكمة عليه، وفي هذا الانسجام يحدث الوصل بين القيمي الثقافي والحداثي التقني، ويمكن أن يؤول ذلك إلى حالة من التقدم الحضاري في حال ما إذا انسجمت جميع الجهود وتضافرت على نحو مجتمعي واسع النطاق.

ب– تحييد القيم : وهو يعبر عن "الانشطار " والتمزق" القيمي الأخلاقي الذي يعانيه الفرد حيال تعرضه للكثير من المحتويات الغرائزية مثلا أو أنشطة الاختراق ...، فتحييد القيمة يعني حالة من الخمول وعدم التفعيل القصدي لها أثناء هذا النشاط، ونعتقد أن هذه الحالة سياقية إذ تعتري الفرد غالبا أثناء باقي المناشط الاجتماعية الأخرى، وهي تشير إلى عمق الأزمة الثقافية كما يقول مالك بن نبي حيث الانفصال بين القيمة والواقع السلوكي، وان الأزمة الثقافية تكون في ذروتها بالنسبة إلى الفرد إذا ما قدرنا انه حرم منذ البداية مما أسميناه الجو الثقافي[1] .

ج– التداخل القيمي : يعبر التداخل القيمي عن ازدواجية ثقافية ممتدة في عمق ثقافتنا العربية الإسلامية المابعدموحدية، حيث تختلط النزعات التقديرية للمنتجات الغربية بين ثنائية الرغبة والرهبة،الانبهار والخوف،الممنوع والمرغوب،فالرغبة تعبر عن طموح نحو "امتلاك" وتبني" هذه المنتتجات المفقودة في المجتمع أو التي لا تنتج محليا، أما الرهبة فمردها إلى استحكامات المنظومة القيمية وانغلاقها أحيانا كثيرة على نفسها كحالة دفاعية في وجه هذه العناصر "الدخيلة" وتتخذ من العنف اللساني (التشويه،التندر،التأنيب،...)أو حتى الإكراه البدني في حالة غياب بديل واضح، هذه الازدواجية تؤثر على استخدام الشباب مثلا للإنترنت فهو قد يرغب في استخدامها بعيدا عن إشراف الأولياء، وقد يؤدي سوء استخدامها إلى الإحساس بالاغتراب في العلاقة مع الآخرين لان في ذلك مساسا بقيم المجتمع وثقافته من جهة أخرى. .

خلاصة

[1]– مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، مرجع سبق ذكره، ص92

يتزايد الاهتمام في الأوساط الأكاديمية بنظرية "الحتمية القيمية في الإعلام[1]"، وقد تطور هذا الاهتمام إلى محاولات جادة لتبنيها واعتمادها كمرجعية فكرية فلسفية ومنهجية في فهم وتحليل الظواهر الإعلامية في نطاق البيئة العربية الإسلامية.

ومع أن هذه الجهود لا تزال في مرحلتها الجنينية وتعاني بعضا من القصور التحليلي الناتج عن عدم فهم الظواهر فهما فلسفيا وثقافيا من جهة وفهم النظرية فهما ثقافيا حضاريا، ولا يعني ذلك انتقاص من أي جهد مبارك، إنما نسجل لجميع المشتغلين بها مشقة المهمة وصعوبتها واعتقد أن لذة المشقة في ثمرة النتيجة، والتي لن تكون إلا محصلة هذا التراكم المفضي إلى نهضة الأمة.

وقد حاولت من خلال هذا المقال البسيط أن أقف على معالم "البراديغم القيمي" في دراسة ظاهرة استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال، من خلال إعادة شحنها شحنا قيميا يستند إلى أعمال عملاق المفكر الجزائري مالك بني يرحمه الله، وأعمال الأستاذ عزي عبد الرحمن التي شكلت قاعدة الفهم، ومبعث النشاط ومصدر الإلهام.

يعتمد هذا الشحن على جهود الأسرة والمدرسة والمسجد في التربية القيمية على تكنولوجيا الاتصال، وترشيد استخدامها، ترشيدا يجعلها أدوات ذات فعالية تقنيا واجتماعيا، مادامت تخضع لإشراف قيمي.

---

[1]-الفتعشراتالكتبحولالموضوع،عزي، نصيربوعلي ...والكثيرمنالمقالات،وتنجزحاليالكثيرمنالأطروحاتالأكاديمية—ماجستيردكتوراه- حولهأواستنادإليهافيالجامعاتالجزائرية،كماصارمنالتقاليد عقدمؤتمردوليسنوي باسم النظرية .